



معرفة النجوم

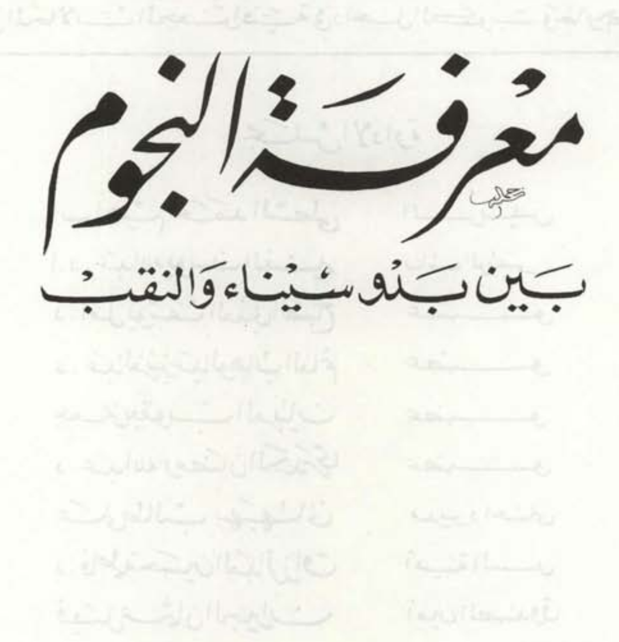
بين بدو سيناء والنقب

بحث : كلنتن بيلي
ترجمة : نادية المسعد

٨١

سبتمبر ١٩٨٥م
ذو الحجة ١٤٠٥هـ

نشرة دورية محكمة تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية



بحث : كلنتن بيلى
ترجمة : نادية المسعد

الجمعية الجغرافية الكويتية

جمعية علمية تهدف الى النهوض بالدراسات والبحوث الجغرافية وتوثيق الروابط بين المشتغلين في المجالات الجغرافية في داخل الكويت وخارجها

الاشتراكات :

في الكويت :	للمؤسسات	١٢ دينارا كويتيا	(سنويا)
	للأفراد	٦ دينارا كويتيا	(سنويا)
خارج الكويت :	للمؤسسات	١٥ دينارا كويتيا	(سنويا)
	للأفراد	٧,٥ دينارا كويتيا	(سنويا)

المراسلات : الجمعية الجغرافية الكويتية

ص. ب : ١٧٠٥١ الخالدية . الكويت

نشرة دورية محكمة تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجمة

﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾

﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾

هاتان الآيتان من القرآن الكريم خطاب للعرب أساسا ، فهم الذين تلقوا القرآن قبل كل الناس ، وبطبيعة الحال لا يخاطبهم القرآن بأمر يجهلونه ، ولا يذكرهم بنعمة لا يقدرونها حق قدرها .

السماء لساكني الجزيرة العربية ، ولا سيما البدو منهم ، هي سقف بيتهم على ما جاء في عبارة واحد منهم ، ولا يجهل انسان سقف بيته . وقد كان بدوى الجزيرة العربية بالفعل على درجة كبيرة جداً من العلم بالسماء ، بنجومها ومطالعها ومغاربها ، وما يقترن بها من الأمطار والطقس .

وهذه مادة حياتهم وقوام معاشهم ، لأنها أساس الزراعة والنبات والرعي وانتاج الحيوانات . وطبيعي أن تشاركهم في ذلك كل الأمم ، ولكن ما ورد عن العرب في أشعارهم وأسجاعهم وحكاياتهم أكثر بكثير جداً مما عند الأمم الأخرى ، والمدونات العلمية خير شاهد على ذلك . يضاف الى ذلك أن النجوم كانت «حياة» البدوي وسالك الصحراء والبحر ، حيث لا معالم ولا علامات في الغالب ، فإذا فقد سالك هذين دليله ، فقد حياته .

وقد حرص العرب على تدوين ملاحظاتهم هذه ، فجاء في شعرهم الكثير

جداً عن النجوم والرياح والامطار ، وكذلك جاءت أقوالهم المسجوعة كلها على هيئة تعليمات يسهل تلقيها وحفظها .

ومن أجمع ما وصلنا في ذلك كتاب «الأنواء» لابن قتيبه ، وقد طُبع في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الدكن / الهند عام ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

وكان من المأمول أن يسير الخلف على طريق السلف ، ولكن للأسف الشديد ، أخذت هذه الخبرات تضيع شيئاً فشيئاً ، حتى كادت تنقرض .

وقد سرني حين مراجعتي للمجلات الاستشراقية التي أقوم بصناعة فهارس لها أن أقع على هذا الموضوع : « معرفة النجوم بين بدو سيناء والنقب» ، فعزمت على دراسته ونقله الى العربية مشفوعاً بملاحظاتي ، آملة أن أقدم للقراء مادة قيمة ممتعة ، والبحث ـ على صغره ـ مثير للاهتمام خاصة أنه متعلق بمنطقة سيناء والنقب التي لا نعرف عنها الشيء الكثير ، فكيف بمعرفة النجوم فيها وهي معرفة ضاربة في القدم ، ولكنها كما قال الكاتب اندثرت تقريباً بين البدو ولم يبق من آثارها الإ القليل في ذواكر الشيوخ الطاعنين في السن .

وعمر البحث خمسة عشر عاماً تقريباً ، وكان كاتبه «كِلنتُن بيلي» منتدباً من معهد بحوث الصحراء في النقب لجمع ودراسة الشعر البدوي ، فلفتت نظره الأجزاء الخاصة منها بمعرفة النجوم ، فقام بجمعها وترتيبها مضيفاً إليها بعض الأمثال والأقوال والأسجاع ، وقد اعتمد في ذلك على كبار السن من رواة البدو ، أما حساباته الفلكية فاستمدها من مراصد وعلماء فلك اسرائيليين (كانت سيناء في عام ١٩٧٠ م تحت الاحتلال الاسرائيلي) . ويُلاحظ أن مراجعه أساساً أجنبية ، ومما لفت نظري في ملاحظاته أن فيها تصويبات قيمة لآثار من سبقوه في دراسة حياة البدو وخاصة : موزيل وموراي وشُقير .

ولغة الكاتب سهلة وواضحة ، ولكن لا بد من الاصطدام بعوائق الترجمة خاصة وأنه موضوع فلكي يستشهد بلهجة بدو سيناء والنقب ، وبالنسبة للأمور الفلكية من مصطلحات وتعابير فقد رجعت فيها إلى معاجم فلكية ، واستعنت بالأستاذ الجليل الفلكي الكويتي المعروف د . صالح العجيري في بعض مما غَمُض

عليّ ، فرحبّ بي وأفادني مشكوراً إفادة كبيرة .

وبالنسبة للهجة البدوية ، فقد كنت آمل أن أعثر على شخص ينتمي إلى سيناء أو النقب أو يعرف لهجاتهم ولكني لم أوفق ، وعلى كل فقد رجعت في أسماء القبائل والنجوم إلى مراجع مفيدة منها : عشائر الشام لوصفي زكريا، ومعجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ، وتاريخ سيناء والعرب لنعوم شقير ، والقبائل العربية في مصر لعبد الله خورشيد ، وسيناء أرض القمر لرفعت الجوهري .

أما الأقوال والأمثال والأشعار وما اليها فقد حاولت جهدي مطابقة ما سمعه الكاتب وسجله من البدو ، وتشكيلها تشكيلاً دقيقاً ما أمكن ، مع شرح لبعض الألفاظ البدوية الغريبة . وقد ميزت ألفاظ اللهجة البدوية بعلامات التنصيص (« ») ، وجاءت ملاحظاتي الخاصة لاحقة لملاحظات الكاتب ، وهي مميزة في الهوامش بنجمة (*) وموضوعة داخل معقوفين [ ] ، وبودي كذلك أن أنبه القاريء إلى أن نطق البدو للقاف يماثل نطق الجيم القاهرية المصرية .

ولي في النهاية تعليق على خاتمة البحث التي أشار فيها الكاتب إلى محدودية تراث النجوم البدوي في ضوء السمعة العريضة لعلم الفلك العربي الاسلامي القديم وازدهاره في العصور الوسطى ، وقوله أيضاً أن العرب استوردوا أصول هذا العلم من اليونان والهنود وأضافوا إليها فيما بعد اسهاماتهم .

فالقول الأول مبني على دراسة معارف النجوم عند مجموعة من القبائل ضمن رقعة جغرافية محدودة ، وكان عليه أن يدرس ذلك عند بقية القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية حتى يستطيع أن يخرج بحكم عادل في هذا الخصوص . أما القول الثاني ، وهو علاقة علم الأنواء بعلوم الأمم الأخرى فيمكن الرد عليه من خلال نصين لاثنين من كبار المستشرقين أولهما «كارلو نالّينو» الذي يقول في كتابه الشهير «علم الفلك : تاريخه عند العرب في العصور الوسطى» : «واجمال ما بيّنته من معارف العرب القدماء بالنجوم والسماء أنهم قد عرفوا عدداً وافراً من الكواكب الثابتة مع مواضع مطالعها ومغاربها وذهبوا في

جعلها أشكالاً أو صوراً مذهباً يختلف عن طرائق الأمم الاخرى ثم انهم عرفوا الكواكب السيارة ومنازل القمر وانفردوا عن سائر الشعوب في استعمال تلك المنازل وأخذ أنوائها».

وثانيهما «اغناطيوس كراتشكوفسكي» الذي ذكر في كتابه «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» / ترجمة صلاح هاشم : «لم تقف معرفة البدو عند القمر وحده بل عرفوا جيداً الكواكب التي احتلت المكانة الأولى بينها الزُّهرة (Venus) وعطارد (Mercury)، أما فيما يتعلق بالنجوم فقد عرفوا منها ما لا يقل عن مائتين وخمسين نجماً في تسميتها العربية الخالصة ، جمعها بعناية فائقة في القرن العاشر الفلكي عبد الرحمن الصوفي (توفي عام ٣٧٦ ـ ٩٧٦) . وتخلو نجوم السمت (Azimuth Stars) لديهم من أي تأثير يوناني ، إذ إن التأثير اليوناني لم يُعدِّل في المصطلحات الفلكية العربية إلا ابتداء من القرن التاسع».

وختاماً ، أرجو أن يكون فيما قدمته للباحثين مادة مفيدة في مجال علم الأنواء العربي ، وهو دعوة للالتفات إلى هذا الموضوع وجمع البقية الباقية منه من خبرات المسنين ومما سجله الشعر النبطي الذي يجمع الكثير من معارف البدو في العصر الحديث.

نادية المسعد

الكويت ١٤٠٦ هـ

١٩٨٥ م



بحث : كلنتن بيلي
ترجمة : نادية المسعد

اعتمد بدو شبه جزيرة سيناء وصحراء النقب على الأجرام السماوية في كثير من الأمور شأنهم في ذلك شأن أسلافهم البدو في شبه الجزيرة العربية ، ذلك لأن النجوم ضرورية للبدوي لشق طريقه في الصحراء الشاسعة المقفرة الخالية تقريباً من المعالم ، كما أنها ضرورية للبحّار للاهتداء بها في البحر الواسع ، اضافة الى أنهم كانوا بأمسّ الحاجة الى علامات ثابتة لتمييز فصول السنة حتى يتسنى لهم تنظيم نشاطاتهم الاقتصادية السنوية من زراعة ورعي . وقد اعتمدوا في أول الأمر على التقويم الاسلامي ، ولكن شهور هذا التقويم ليست ثابتة ، فهي تتناوب بين فصول السنة ، فتارة تحلّ في الشتاء وتارة في الربيع أو الصيف أو الخريف ، ولهذا فضلوا الاتجاه الى ملاحظة أوضاع النجوم لتحديد الفصول بطريقة أكثر دقة ، وقد أدى انشغالهم الدائم بمراقبتها إلى اكتشافات مهمة أخرى خاصة في تفسير الكوارث الطبيعية التي كانت تهددهم دائماً .

ولا يزال بدو سيناء والنقب في القرن الحالي يقضون لياليهم تحت النجوم التي تعاقب عليها أجدادهم ، ولكن مع اختلاف واحد ، هو أن هذه النجوم ـ للأسف ـ لم تعد مألوفة لديهم .

وبديهي ، أن هذا الاختلاف لم يحدث بين عشية وضحاها ، ولكنه حدث شيئاً بعد شيء نتيجة انفتاحهم على الحضارة الحديثة ، وذلك حين خضعوا للحكومات المنظمة ، وهي على التوالي : الحكومة العثمانية والبريطانية والمصرية ثم الاحتلال الاسرائيلي ثم حالياً الحكومة المصرية مرة أخرى .

ومع مرور الزمن ، تخلّى البدو عن النجوم ، وتحولوا الى التقاويم الشمسية سواء منها الغريغورية أو العربية ، مما قلل الحاجة اليها (أي النجوم) شيئاً فشيئاً

حتى اندثرت معرفتها تقريباً ، وتكاد هذه المعرفة في بداية القرن الحالي تقتصر على جيل المسنين «الناس الكُبار» الذين يتناقصون بالتدريج ، وحتى هؤلاء لم تعد ذواكرهم تحفظ سوى متفرقات من هنا وهناك .

وللحفاظ على هذه البقية الباقية من التراث ، انتهزت فرصة زيارتي لسيناء والنقب (ما بين سبتمبر ١٩٧١ / أغسطس ١٩٧٢) حين كنت منتدباً من قبل (معهد بحوث الصحراء في النقب Midrashat Sde-Boker) لجمع ودراسة الشعر البدوي ، فحاولت جمع وترتيب الأجزاء الخاصة منه بالنجوم ، ولقد لخصت نتائج رحلتي في هذا البحث .

ولحسن الحظ وجدت أن الكثير من هذه المعرفة محفوظ في الأمثال والأقوال المأثورة اضافة في ما ذكرته آنفاً عن الشعر ، حيث كان المسنون البدو قد سمعوها وحفظوها منذ كانوا أطفالاً (في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) ولكنهم لم يحفظوا معناها الدقيق ، ولذلك وجدت نفسي حائراً بين تفسيرات كثيرة ومتضاربة غالباً وبخاصة مع وجود روايات مختلفة لكل مثل مما دعاني للشك في أصالة المتداول منها حالياً . ومما زاد الطين بِلَّة ، أن الكُتّاب عن حياة البدو وبخاصة موزيل Musil وشقير Shuqayr وموراي[1] Murray نقلوا كثيراً من المعلومات الخاطئة والغامضة عن لسان الرواة البدو .

وأدركت من البداية أنه لفهم ملاحظات البدو عن النجوم ، فلا بد من جمع المسلمات الفلكية الدقيقة الخاصة بها ، وقد تفضل سيدان جليلان فزوّداني بها مشكورين وهما :

١ ـ موردخاي هاك Mordechai Hacke : مدير مرصد Lasker Planetarium في تل أبيب .

٢ ـ مايكل جاكوبسُن Michael Jacobson ، مرشح لدكتوراه في الفلك في جامعة Cornell ، وهو يعمل في مرصد في Mitzpe-Ramon في اسرائيل منذ عام ١٩٧١ .

كما حرصت على الإلمام بالنشاطات الاقتصادية الدورية في مجتمعهم

والمرتبطة بمعرفة النجوم ، وبخاصة فيما يتعلق بزراعة النخيل وحبوب الشتاء وتزاوج الحيوانات . . . . . . الخ .

ولا بد من الإشارة الى أن معظم الروايات التي جمعتها رواها لي عشرة من البدو ، وهم مواطنون مقيمون في سيناء والنقب تتراوح أعمارهم بين الخمسين والثمانين عاماً (في ١٩٧١ / ١٩٧٢) وهذه أسماؤهم :

١ ـ عيد عَوّاد جُمعة : صياد سمك في خليج العقبة ، وزارع نخيل ، وراعي ماعز ، من صَخانَة مُزَيْنَة .
٢ ـ حَمْدان أبو سَلامة أبو مَسعود : راعي جمال من دَرارْمَة مُزَيْنَة .
٣ ـ سَليم سالِم بن جازي : دليل معروف ، وراعي جمال ، وزارع نخيل من حَسابْلَة التَرابِين .
٤ ـ عُودة سليمان عَلِيَّان : راعي ماعز من حَمادَات الأَحْيَوات .
٥ ـ زمَيْلي سَعيد سالم : راعي جمال وصياد سمك في خليج السويس من زمَيْليين العليقات .
٦ ـ حسين سَليم حَسَن : راعي ماعز وزارع نخيل من سَلاطْنَة العَيايْدَه .
٧ ـ سليمان نَصّار الهِرش : فلاح وزارع نخيل من هروُش البَياضِين .
٨ ـ مُصلِح سالم بن عامِر : فلاح وزارع نخيل من عَوارْمَة التِياها .
٩ ـ موسى حَسَن العَطاوْنَة : فلاح من عَطاوْنَة التِياها .
١٠ ـ حَمَيْد السوداني : راعي جمال وماعز من سَراحين العَزازْمَة .

ومعظم المعلومات التي جمعتها في سيناء والنقب هي امتداد لتراث قديم جداً ثابر على الاستمرار حتى القرن العشرين ، وهذا إنجاز عظيم لمجتمع لم يُدوِّن حضارته . فمثلاً ، تعود أسماء النجوم المتداولة حالياً الى عصور ما قبل الاسلام ، وينسب الرواة بعض الشعر الخاص بالنجوم الى (سيرة بني هلال) التي نظمت مباشرة بعد هجرة قبيلة بني هلال من الجزيرة العربية الى شمال أفريقيا في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين . كما تدل المعلومات التي بحوزتي على مدى التواصل الحضاري والثقافي بين الصحاري الشرقية (في سوريا ، والأردن ، وشبه الجزيرة العربية) وصحراء سيناء والنقب ، فعلى سبيل المثال ، فان بعض الأشعار

الخاصة بالنجوم في سيناء والنقب هي (نسخة مطابقة مع اختلاف في بعض الألفاظ) لأشعار سمعها موزيل في شرق الأردن وسوريا في بداية القرن الحالي ، وقد ترجمها وسجلها بسياقها القصصي في كتابيه :

— Arabia Petraea .

— The manners and customs of the Rwala Bedouins.

* * *

«الجِدي» (Polaris) «وسُهَيْل» (Canopus) :

لا يزال كثير من البدو في أواخر القرن الحالي يعرفون جيداً الجَدْي وسُهَيْلاً ، وهما نجمان مشهوران يشير أولهما الى الشمال والثاني الى الجنوب .

وعلى سبيل المثال نظم بدوي شعراً يشير الى سفره باتجاه الجنوب الشرقي فقال :

«أَحُطَّ الجِـدِي عَـلَى وِرْكِ الْمَطِيَّـه

وَأذْرِي نَحَرْهَا عَنْ سُهَيْلَ اليِمَانِي»[٢]

(يقصد أنه يُحوِّل نحر مطيته عن سُهَيْل اليماني في حين تنعكس أنوار الجَدْي على وركها وهو كناية عن اتجاهه الى الجنوب الشرقي) .

ويعرف البدو كذلك أن الجَدْي مشرق في سماء الليل طوال السنة ، بينما يغرب سُهَيْل عن البصر من شهر مايو حتى أكتوبر ، وقد ضربت الأمثال بثبات الجَدْي « فِلان زَيّ الجِدِي[٣]»أي انه لا يغيب عمن يحتاج اليه ولا يخذله ، وبهذا المعنى عبر الشعراء أيضاً عنه كما في البيت التالي الذي سجله موزيل وهو يصف البطل الصامد في ميدان المعركة :

« غَابَ النِجْمْ وَالسُّهَيْل ، وَالجِدي مَا غَابْ

فَارِسْ عَلى كُلّ الجِزيـرَه غَطَاهَا[٤]»

(غربت الثُريّا ، وغار سُهَيْل ، أما الجَدْي فانه ثابت لا يغيب ، انه فارس يقظ يبسط حمايته على كل الجزيرة) .

واذا كان الجَدْي رمزا للثبات فان سُهَيلاً على النقيض منه تماماً ، فقد لاحظ

البدوي أنه اذا أشرق سُهَيْل في السماء فانه يظهر قريباً جداً من الأفق الجنوبي ولا يمتد بقاؤه أكثر من ساعتين تقريباً ، وهو بتقهقره وسرعة اختفائه يُخَيِّل للرائي كالمُتَردِّد بين البقاء والرحيل ، ولذلك عندما يصف البدوي شخصاً متردداً فهو يشبهه بسُهَيْل ، كما في المثل السائر :

« فِلانْ زَيّ نِجْم السُّهَيْل ـ يِطْلَعْ وِيعاوِدْ عَالذَّيْل[٥]»

(ويُضْرَب للشخص الذي يظهر ويختفي بسرعة) .

وكذلك يُذكِّر سُهَيْل الرائي في إطلاله وهربه السريع بالشخص الذي يحاول الفرار أو الاختباء ، وقد انتقل هذا التشبيه الى مثل يعبر عن موقف يُتَّهم فيه شخص بريء بجريمة قتل لم يرتكبها فيضطر المسكين الى الفرار في حين يهنأ المجرم الحقيقي بحريته ، والمجرم في هذا المثل هو الجَدْي والمتهم الهارب هو سُهَيْل :

«اللّي قَتَلْ ، الجِدِي ـ وِالتَّهِيمْ سُهَيْلْ[٦]»

(ويُضْرَب للمتهم بجريمة غيره) .

وهذا المثل مشتق أصلاً عن أسطورة تحكي أن نجوم وعاء المغرفة الأربع في (كوكبة الدب الأكبر Ursa major)[٧] تشكل نعش الرجل الذي قتله الجَدْي ، وتجرّ النعشَ بناتُ المقتول (بَنات نَعش) وهي النجوم الثلاثة التي تشكل يد المغرفة . ولا بد أن هذه الأسطورة قديمة جداً ، فقد كان البدو في عصر ما قبل الاسلام (القرن السادس الميلادي) يسمون مجموعة الدب الأكبر ببنات نعش[٨] كما هو الحال بين البدو في القرن الحالي .

وتعلل الأسطورة أيضاً إحدى صفات الدب الأكبر وهي إشراقه المستمر طوال الليل ، بأن البنات اللواتي يجررن النعش يسعين دائما الى الانتقام من القاتل ، ولكنهن بدلاً من أن يقتصصن من المجرم (الجَدْي) الماثل باستمرار أمام أعينهن ، يوجهن الاتهام الى البريء (سُهَيْل) البعيد عن متناول اليد[٩] .

وقد سمعت بيتين متفرقين يعبران عن هذه الأسطورة :

« بِنَـات النَّعْشْ يا دِيْـرَاتِ اللَّيْلْ
اللِّي قَتَلْ الجِـدِي وِالتَّهِيمْ سُهَيْلْ[١٠]»
« إنْقَتَـلْ عـالنَّعْشْ وِارْتَـجّ السَّـمَا
اللي قَتَل الجِـدِي وِسُهَيْلَ انْدَمَا[١١]»

(وهما يجريان مجرى الأمثال ، ويُضرَب الأول لمن يبحث عن المجرم وهو ماثل أمامه ، ويُضرَب الثاني لمن تُلْصَق به الجريمة وهو بريء منها) .

مـؤشـرات فـصـول الـسـنـة :

وقد لعب سُهَيْل دوراً كذلك في تحديد الفصول ، إذ اعتبر البدوي شروقه في السماء قبيل الفجر في منتصف أكتوبر بشارة بسـقـوط المطر بعد صيف جاف طويل[١٢]. وهذه الخبرة محفوظة في المثل التالي :

« إنْ طِلَعْ سُهَيْلْ ، لا تَامِنِ السَّيْلْ ، لَوْ كَانَ عْقَابِ اللَيْلْ[١٣]»

(أي اذا ظهر سُهَيل ، فيجب أن تحترس من فيضان الماء ، حتى لو كان سُهَيل قد ظهر لتوه) .

أما تَشْريق[١٤] سُهَيْل فهو إنذار باستهلال البرد حيث يرافق ظهوره قبيل الفجر هبوب أول الرياح الجنوبية الباردة ولهذا يقول البدو :

« إنْ طِلَعْ سُهَيْلْ - بَرِدْ آخرِ اللَّيْلْ[١٥]»
(أي اذا ظهر سُهَيل ، فالبرد آت مع آخر الليل) .

وينتظر الرعاة البدو بفارغ الصبر حلول أهم مواسم المطر الذي يواكب شروق (الثُرَيَّا) Pleiades عند الغروب في الأفق الشرقي ، ويحدث ذلك عادة في نهاية أكتوبر بعد أسبوعين تقريباً من ظهور سُهَيْل ، ويسمى هذا الموسم بـ « وَسْم الثُرَيَّا » أو «الوَسْم» ويدوم في الغالب ٧٥ يوماً ، وعلى أثره تكتسي المراعي بالكلأ الأخضر في الربيع . ويحدد البدوي نهاية الوَسْم بشروق الشِّعْرَى اليَمانِيَّة « البُرْبَارَه »[١٦] Sirius عند الغروب في الأفق الشرقي في منتصف يناير[١٧]، فالشِّعرَى اذا

هي المقدمة لموسم البرد (فصل الشتاء) ، الذي يعرف أيضا « بالأَرْبَعِينِيَّة [١٨] » ، اشارة الى استمراره أربعين يوماً حتى آخر فبراير .

وفي الأَرْبَعِينِيَّة تتأهب الأرض لإنبات العشب مبشِّرة باطلالة الموسم التالي[١٩] وهو فصل الربيع أو كما يسمونه أحيانا «نَوّ الرَّبيع»[٢٠] ، ويستمر هذا الفصل خمسين يوما حتى الثلث الأول من أبريل ، ويميز البدوي بدايته أيضا بأوضاع معينة للنجوم ، والقول الساري عن هذه الحالة :

« البُرْبَارَه ، لِماَّ تَصِيرْ لِسُهَيْلْ رِشي
عِشي وَلاَ هُو عِشي
أَوَّلْ رَبيعْ وِآخَرِ اشْتي »[٢١]

(أي اذا تدلّت البُرْبَارَه من سُهَيْل كالدلو في بداية المساء ، فهذه نهاية الشتاء وبداية الربيع) .

ولتوضيح الصورة المقصودة هنا ، فان سُهَيْلاً والبُرْبَارَه (الشِّعْرَى اليمانِيَّة) يشرقان في السماء في أواخر فبراير بعد الغروب على خط زوال واحد[٢٢] ، فتبدو الشِّعْرَى اليَمانِيَّة للرائي وكأنها « رِشي » لسهيل أي متدلية منه .

ان تشريق سُهَيْل في منتصف أكتوبر يدل أيضا على حلول موسم جني البلح في شمال سيناء وقناة السويس ، الذي يتم نضجه عادة قبيل هذه الاشارة في أواخر سبتمبر وبداية أكتوبر ، ويقول البدو في هذا الشأن :

« سُهَيْلْ ، يِخَلِّي الرُطَبْ هَيْلْ »[٢٣]

(وهو كناية عن نضج البلح)

ويتزامن هذا الموسم مع موسم جني البلح أيضا في صحراء سوريا ، وقد سجّل موزيل المثل التالي عنهم :

« إنْ طِلَعْ السُّهَيْلْ . . . تِلَمّس التَّمْرْ في اللَّيْلْ »[٢٤]

(ويُضرَب على شدة نضج البلح حتى أن لمسة خفيفة في الليل تكفي لتساقطه وجنيه في حين أنك لا تستطيع جمعه في غير هذه المرحلة إلا في ضوء النهار وبقطع عذقه كاملاً) .

أما في جنوب سيناء فان البلح ينضج مبكراً ، متزامناً مع تشريق الشِّعْرَى اليَمانِيَّة في بداية أغسطس ، وسبب تبكيره أن البدو في هذه المنطقة يسبقون جيرانهم الشماليين في تلقيح النخيل بحوالي شهر أو شهر ونصف.

أما على امتداد الساحل الشرقي لسيناء والوديان المجاورة فتبدأ أعذاق البلح في الظهور محملة بأغصانها الجديدة « القِني » في أواخر فبراير (أي أواخر الأَرْبَعينيَّة) ، وفي أثناء مارس تنمو الأعضاء المذكرة والمؤنثة للنخيل «شَمْرُوخ[٢٥] وجمعها شَماريخ » وتتم عملية الالقاح في أواخر مارس وبداية أبريل (أو كما يقولون هم : « في عَقَابِ الرَبِيعْ » ، أي نهايته) ، وبعد ٤٠ يوماً تقريباً (في منتصف مايو) تشرق الثُّريَّا على الأفق الشرقي قبل شروق الشمس ، وعلى اثرها تتشكل براعم النخل الفجة « بَلْحه » ، وبعدها بفترة قصيرة تثقل الأعذاق بحملها من البلح الأخضر « رَانِخْ » ، وبعد ٢٥ يوماً تقريباً ، (مع تشريق الدَّبَرَان Aldebaran) يتدرج البلح في التلون ، سواء الى الأحمر أو الأصفر ، كل حسب نوعه . وبعد ٢٥ يوماً أخرى ، في منتصف يوليو يشرق مَنكب الجَوْزاء Betelgeuse قبيل الفجر على الأفق الشرقي ، وعلى اثره يشرع البلح في النضوج ويسمرّ لونه ، فيتحول الأحمر منه الى بني . وأخيرًا ، في بداية أغسطس عندما تشرق الشِّعْرَى اليَمانيَّة في الصباح يتم نضج البلح ويحين موسم جنيه.

وقد حفظ البدو في جنوب سيناء المراحل السابقة المرتبطة بالنجوم في السجع التالي :

« الثُّرَيَّا ، رَزْنِ اقْني[٢٦]
إمْقَيْدِحْ[٢٧] ، بهِي
الجَوْزَا[٢٨] ، زَهِي
البُرْبَارَه ، جِني»[٢٩]

(اذا ظهرت الثريّا ، يثقل الغصن)
(اذا ظهر الدَّبَران ، يلمع البلح)
(اذا ظهر مَنْكِب الجَوْزاء ، يسمرّ البلح)
(اذا ظهرت الشِّعْرَىَ اليَمانِيَّة ، ينضج البلح) .

وفي الحقيقة ، فاني لم أسمع في شمال سيناء كلاماً مماثلاً لما سمعته في الجنوب ، ولكني نقلت عنهم قولاً يحكي أنهم يجنون البلح بعد ظهور سُهَيْل ، وهو :

«سُهَيْل ، شَظّ عَرِي»[٣٠]

(أي بعد ظهور سُهَيل ، يعبأ البلح في الأكياس للنقل) .

النجوم والأمطار المرافقة لها :

لا يعد البلح عنصراً أساسياً في غذاء بدو سيناء والنقب ، لأنه لا يُستَهْلَك الا لمدة شهر أو نحوه في بداية الخريف فقط ، وإنما قوام حياتهم الرعي الذي يعتمد بدوره على سيل الأمطار في الفترة ما بين أوائل نوفمبر ومنتصف يناير (وَسمْ الثُّريَّا)[٣١] ، وبعد هذه الأمطار تخضرّ الأرض ،وينبت العشب الناضر الذي تقبل عليه الحيوانات بشوق بعد نظام تقشفي إجباري اقتصر على النباتات الجافة في الصيف والخريف ، كما أن هذه الأعشاب والشجيرات غنية بالسوائل التي تروي الظمأ وتسد حاجة الحيوان للماء ، وهذا في حد ذاته عظيم النفع للبدوي الذي يفضل ادخار الماء في الآبار والصهاريج للأشهر الحارة الجافة المقبلة ، ويبدو أن هذا هو السبب في انتشار هذا القول :

« يارَبّ مَا هِي عَادِهْ ـ النِّشْلْ في المِلَادِهْ»[٣٢]

(أي : ياإلهي ، أنه ليس من عادتنا سحب الماء من البئر في عيد ميلاد المسيح) .

وقد اشرنا سابقا الى دوام وسم الثُّريَّا ٧٥ يوما والى بدايته مع شروق الثُّريَّا[٣٣] ونهايته مع شروق الشِّعرَى اليَمانيَّة[٣٤] ، نظرا لأهمية هذا الموسم فقد خُلِّدت ذكراه مراراً في الشعر البدوي القديم منذ القرن السادس م[٣٥]،وعلى الرغم من نسبته إلى الثُّريَّا ، فالحقيقة أنه مقسوم بين ثلاثة نجوم تظهر خلاله في فترات متساوية تقريبا ، وهي على التوالي : الثُّريَّا ، والدَّبَران ، ومَنْكب الجَوْزاء ، ولكن الأمطار التي تسقط في الثلث الأول من الوَسْم (في بداية ومنتصف نوفمبر) أعظمها أهمية ، لأنها الدفعة الأولى التي تبث الحياة في بذور النبات وتهيئه لامتصاص الأمطار اللاحقة في الثلثين الأخيرين من الوَسْم .

ولهذا السبب عُدَّت الثُّريَّا مصدراً للصور الشعرية البهيجة منذ القدم ، ولا تزال حتى الآن ، ومثالاً على ذلك ما وصف به بَدَوي حديث شَعْر محبوبته ، اذ لم يجد تشبيها له أجمل من مراعي الثُّريَّا اليانعة :

« يَا بِنْتْ مُفَرِّقْ قُذِلْتَكْ عِشْبٍ وِنوارْ

عِشِبِ الثُّرَيَّا في الرَهارِيقْ زَامِي »[٣٦]

(يا فتاة ، خصلات شعرك تشبه العشب والزهور التي تنمو على منحدرات التلال بعد أمطار الثُّريّا) .

ولسوء الحظ لا تكفي أمطار نوفمبر وحدها لانبات المراعي ، ولهذا تسارع أمطار الدَّبَران وَمَنْكب الجَوْزاء الى النجدة ، ولكنها تنهمر فقط على الوديان والمناطق المنخفضة دون المناطق المرتفعة . ويشرق الدَّبَران عند الغروب في الأفق الشرقي في أواخر نوفمبر ، أما مَنْكب الجَوْزاء فيشرق كذلك في الساعة والاتجاه أنفسهما ولكن في منتصف ديسمبر ، ويسمى بدو سيناء والنقب الدَّبَران « إمْقَيْدِحْ أو إنْجَيْدِحْ » وهم يستبشرون به كالثُّريَّا تماما وقد نظموا في ذلك كلاماً جميلاً :

« إمْقَيْدِحْ بَرَّاقْ وِالرَّاعِي مْخِيلِهْ

يَا بَخْتْ رَوْضٍ مِنِ امْقَيْدِحْ سَيْلْ »[٣٧]

(نظر الراعي فشاهد لمعان إمْقَيْدِحْ في السماء ، يا لسعادة الوادي الذي يستقبل أمطاره)

« يَا هَنِي رَوْضٍ مِنِ امْقَيْدِحْ سَالْ

يِخْصِبْ لَوْ كَانِتِ الجِبَالِ امْحَالْ »[٣٨]

(ما أسعد الوادي الذي تنهمر عليه أمطار إمْقَيْدِحْ ، فهي ستملؤه بالزهور عندما تجف الجبال) .

وقد أشار موزيل الى أثر الدَّبَران فقال :

« لو كان شُروق الدَّبَران مصحوباً بمطر غزير ، فسوف يروي هذا المطر جميع الأحواض (أو المناطق المنخفضة) . . »[٣٩] . ولم ينكر بدو سيناء فضل مَنْكب الجَوْزاء وأمطاره على قنوات المياه ، بل مجّدوه وعبّروا عن شكرهم له ، كما في

أغنية قصيرة « حِدَاوِي » تُغنَّى عند سحب الماء من الآبار لحث « يحْدَى » الحيوانات وخاصة الجمال على الشرب :

«جَدْعَه[٤٠] حَوَارَكْ زَوْزَا يَرْعَى مَجَرَّ الجَوْزَا»[٤١]

(يخاطب الشاعر ناقته ويقول لها : انظري كيف يمرح ولدك الصغير في مراعي الجَوْزاء) .

وفي شمال سيناء والنقب يزرع البدو القمح والشعير ، وهم يعتمدون أيضاً على النجوم (وخاصة الثُّريَّا والشِّعرَى اليَمانيَّة) في تنظيم نشاطهم الزراعي ، فاذا سقطت أمطار وافية في نوفمبر (وَسْم الثُّريَّا) فهو الشهر الأمثل لبذر حبوب الشتاء ، حتى يتسنى لها النضوج في الوقت المناسب (خمسة أشهر) والاسراع بحصادها قبل هبوب موجة « الخَمْسِين » الحارَّه التي تدمر المحاصيل في منتصف مايو ، ولهذا فهم يلقبون وَسْم الثُّريَّا بـ«وَسْم المَال» أي إشارةالسَعْد[٤٢]، ويقولون فيه :

« إنْ مَطَرَت الوَسْمْ ، إرْمِ عَشَا اوْلادَكْ» »

(أي إرمِ البذور وازرع قوت أولادك)

«وَقْتَ الرِّمَايَة هُو وَقْتَ الثُّريَّا»

(موعد البذر مع ظهور الثريا) .

ويحدث غالباً بعد سقوط دفعة المطر الأولى في نوفمبر أن ينقطع المطر فجأة لمدة عشرين أو ثلاثين يوماً ، ولذلك فان بذور الشعير تستطيع أن تتحمل جفاف هذه الفترة ، أما بذور القمح فإنها تموت بعد ١٥ أو ٢٠ يوماً ، ولهذا يفضل معظم الزراع البدو تأخير موعد بذر القمح ما أمكن حتى منتصف يناير الذي تتواتر أمطاره ، ولكنهم ـ خوفاً من رياح الخَمْسين ـ يبادرون الى حصاده في وقت أسرع مما هو متبع عادة اذ يحصدونه بعد ٧٠ يوماً ، وعلى الرغم من أنه لا يُصنَّف ضمن النوعيات الممتازة ولكنه يعتبر غلة صالحة للأكل .

ويوافق منتصف يناير شروق الشِّعرَى اليَمانيَّة (عند الغروب في الأفق الشرقي) ، ولهذا فقد ارتبط اسمها بالانذار الأخير لبذر القمح ، وعليه فقد

تناقلت الأجيال هذا القول :

« إنْ صَوت البُرْبَارَه
رَدّ الشَّعِيرْ في الغَرَارَه
والقَمحْ ، يَا بَذّارَه »

(اذا ظهرت البُرْبَاره ، ضعوا الشعير في الأكياس ، وأسرعوا ببذر القمح) .

النجوم المنحوسة :

ليس هناك نجم يعدل الثُّريَّا في سعادة الناس بها ، فهي المبشرة بالامطار الخيرة والمراعي الخضراء الزاهية ، وعلى العكس فان غيابها مصحوب بأوقات عسيرة ترتبط ظاهرياً بهبوب رياح الخَمْسين الحارة في مايو ، ويلاحظ هذا التغير المفاجيء خاصة في الأيام الثلاثة الأولى التي تلي غروبها[٤٣]، ففيها تتغير درجة حرارة المخلوقات من إنسان وحيوان ، ويشعر الجميع بالارهاق والدوخة كما لو كانوا « يِتْفَرْسَخُون » من الحر ، وحتى لحم الحيوانات (الجمال والمعز والخراف والسمك) يتغير مذاقه ويصبح مَسيخاً[٤٤] «ماسخاً» .

وهناك نجم آخر يترافق غيابه مع أيام قاسية للبدو ألا وهو «الأُحَيْمِرْ» أي النجم الأحمر الصغير ، وقد حدثني رواة كثيرون عنه وعن تأثيره ، واتفق معظمهم على خواص معروفة له وهي لونه الأحمر وموقعه الجنوبي ، ولكن مما يدعو للعجب أن أحداً لم يستطع تحديد هويته بالضبط ، وعلى أية حال فقد استنتجت من رواياتهم براهين ترجح نسب الأُحَيْمِرْ الى (قَلْب العَقْرَبْ) Antares وهو نجم في كوكبة العقرب يتمتع بصفات الأُحيْمِرْ نفسها ، كما يدعي البدو أن الأُحَيْمِرْ يغرب في الغرب في الوقت الذي تشرق فيه الثريا في الشرق عند الغروب ، وفي الواقع أن هذه صفه أخرى لقَلْب العَقْرَب في النصف الثاني من أكتوبر[٤٥] .

وفي هذه الفترة تهجم رياح عنيفة « وَبْش أو شَينْ » قبل أسبوعين تقريبا من غروب الأُحَيْمِرْ ، على جنوب سيناء مصحوبة بأمطار غزيرة تتسبب في فيضانات مفاجئة تكتسح كل شيء في طريقها .

وقد استعار البدو صورة هذه السيول ، للأشياء المندفعة السريعة التي لا يقف أمامها شيء ، وفيما يلي أبيات لشاعر منهم استعان بهذه الصورة ليراسل أعزّاء بعيدين عنه :

«وَعُقْبَ الْعَشَا نَفْتَحْ شَبَابِيكْ وُبْوَابْ
مِثْلِ الثِّعُولِ اللِّي اسْتِهَلَّتْ سَحَابَهْ»

« وَالأُحَيْمِرْ لَجَا مَعَ رِجْدْ سِحَـابْ
وِالصَّيْدْ مِنْ رُوسْ الخَلاخِيلْ جَابَهْ[٤٦]»

(مع هدأة الليل حيث تُشرّع الأبواب والنوافذ ، تهدأ النفوس وترق المشاعر ، فيتذكر الشاعر أصدقاءه فتفيض أحاسيسه ومشاعره ، وتنثال على لسانه متدفقة كالوعول حطتها سيول الأُحَيْمِرْ (قَلْب العَقْرَب) من أعالي الجبال الى منحدر الوديان) .

وعلاوة على ذلك ، فان هذه الأمطار تُنبت أعشاباً ضارة بالخراف والماعز ، لو أكلت منها فانها ستُبْتَلى بإسهال شديد « خِرَاقْ » قد يهلكها[٤٧] .

وأخيراً ، لا بد من الاشارة الى اعتقاد البدو بالدورات المنحوسة ، وهى الدورات التي يقترن « يِتْقَارَنْ » فيها القمر مع نجوم معينة ، كما في الفترة الممتدة بين مايو وأكتوبر حين يُرى القمر في كل شهر ولسبع ليال متوالية[٤٨] مع كوكبة الميزان والعَقْرب والرامي ، ويسمى البدو هذا الأسبوع «السِّمَيِّحْ»[٤٩] ، وفيه يمر القمر خلال رأس العقرب (وهو كوكبة الميزان[٥٠]) ثم الاكليل ثم قلب العقرب ثم الشَوْلَة ثم التَرْبيعة (أي النَعائِم في كوكبة الرامي) ، وفي الليلة الأخيرة يختم القمر جولته مارًا بالبَلْدة (كوكبة الرامي) وراحلاً عن السِّمَيِّحْ « يِبَلِّدْ عَنِ سْمَيِّحْ » ، وفي هذه اللحظة يزول سحره[٥١] .

ويتشاءم البدو من هذا الأسبوع ، ويعتقدون أن أي مشروع يبدأ خلاله فاشل حتماً (مشروع « ثِقِيلْ ») ومن أمثلة ذلك أنهم لا يبدأون رحلة ولا يشنون غارة فيه ، وحتى الرجل لا يقرب زوجته ايماناً منه أنها قد تحمل بطفل مخبول «جانّ»[٥٢] . وتعود شهرة السِّمَيِّحْ المشؤومة الى العصور القديمة ، حيث تذكر سيرة

بني هلال أن أبا زيد الهلال اشتكى من لعنة السَّمَيَّحْ التي أصابته بالمرض :

« أَوْصِيكْ عَن العَقْرَبْ وِشَوْلِتْهَا
لَا فَاتِكْ مِن الرِّزْقْ كُلّ مَطْلُوبْ
سَيْفِي هَرَقْ عَلَى عَرْقُوبْ نَاقْتِي
وِخَلاً دَمّهَا عَالْحَمَادِ اكْبُوبْ»(٥٣)

(يحذر الشاعر صاحبه من السعي في هذا الوقت مهما بلغت به ضائقة الرزق ، ويقول أن شؤم السِّمَيِّحْ أدركه فانزلق منه سيفه وأسال دم ناقته) .

وقد لاحظت بين البدو الحاليين أنهم لا يميزون بدقة الشهور التي حدث فيها السِّمَيِّحْ في الماضي ، ولكنهم لم يتذكروا أي اقتران للقمر (مع الكوكبات الثلاث المذكورة آنفاً) فيما بين نوفمبر وأبريل ، وهى الفترة التي تكون فيها هذه الكوكبات غير مرئية في السماء .

ويدعم معلوماتهم هذه قول بينهم سمعه الرواة المسنون الحاليون من آبائهم عندما كانوا صغاراً :

« بَيْنِ عْشَارِ الصَيْدْ وَوْلَادِهْ
لِيَالِي مُسَاعِدَاتْ
مَا فِيهِنِ اقْرَانْ»(٥٤)

(في الفترة ما بين حمل الطرائد ووضعها ، لا يكون هناك اقتران للقمر، ولهذا فان لياليها سعيدة) .

ويعني بالطريدة هنا الظبي أو الوعل (البَدَنْ) ، وتتراوح مدة حملها عادة ما بين $\frac{1}{2}$ ٥ الى ٦ أشهر متواصلة ، ويعرف البدو أن هذه الحيوانات تتزاوج بعد ظهور سُهَيْل في منتصف أكتوبر وتضع حملها في نهاية الربيع في أبريل ، لذلك فان كوكبات السِّمَيِّحْ لا تظهر فيما بين نوفمبر وأبريل .

الخاتمة

مدى معرفة البدو بالنجوم

وفي الختام ، وبعد استعراض معارف النجوم التي جمعتها في سيناء والنقب ، أود أن أورد ملاحظة مهمة ، فما سمعته من البدو الحاليين لا يشير إلى نجوم كثيرة بل الى أعداد قليلة نسبيا ، فهل نفهم من هذا أن أسلاف البدو الحاليين كانوا يركزون اهتمامهم على مجموعات محدودة من النجوم فقط ؟ في أول الأمر تولتني الحيرة ودارت أسئلة كثيرة في رأسي ، تُرى هل خانت الذاكرة الرواة الذين استعنت بهم فنسوا الكثير من تراث الأجداد ؟ أم أن الحضارة البدوية تدهورت بشكل عام عبر القرون ؟ ولم لا تكون المادة التي جمعتها هي صورة أمينة للمادة القديمة ، أي أنها كانت محدودة أصلاً ؟ مهما كانت الاجابة ، فهناك على الأقل حقيقة واحدة لا تقبل الشك وهي أن بعض معارف النجوم قد غاصت بالفعل في غياهب النسيان منذ جيل البدو السابق ، فمثلاً ذكر شُقَيْر[٥٥] أن البدو يعرفون كوكبة الحوت (أو السَمَكَتَيْن) Pisces ، ولكن في أثناء تجوالي الحالي لم يستطع أحد منهم تمييزها أو معرفة دورها ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد سمعت بالصدفة بيتاً شعرياً يثبت أنهم كانوا يسمون هذه الكوكبة «نَوّ السَمَاكِين» لأنها مشرقة في السماء طيلة فصل الربيع «أو نَوّ الرَبيع» والبيت يقول :

« يَا فَطْرِي لَا فَاتْكِي نَوَّ السَمَاكِين
جَــذْبِي وِاحْــتِــرِي نَــوْ دَايِــرْ »[٥٦]

(يخاطب الشاعر ناقته ويقول لها : إذا ما فاتك موسم الحوت ولم ينبت العشب فتصبري بأكل الجُذَامَة[٥٧] حتى حلول الربيع التالي) .

وهذه المعلومات تطابق ما ذكره موزيل عن موسم الحوت أنه يلي فصل الشتاء ويستمر خمسين يوماً .[٥٨]

ومن المتوقع أن هفوات الذاكرة تتعدد مع مرور الزمن ، ومع ذلك فلا يبدو أن معرفة النجوم بين الجيل السابق قد تناقصت بدرجة كبيرة عما كانت عليه في الماضي البعيد ، ولو أننا تمعّنا في الشعر الجاهلي فلن نجد اشارات لنجوم أكثر بكثير مما أشرت اليه في بحثي هذا .

ومن الطبيعي ، أن البدو ـ وقدماؤهم في ذلك كالمعاصرين ـ لم يتأملوا الأشياء من أجل التأمل فقط ، ولكنهم ركزوا انتباههم على ما يخدم احتياجاتهم ، ولهذا انشغلوا دائماً بالنجوم التي يلازم شروقها وغروبها حلول الأمطار والمظاهر المناخية الأخرى لتنظيم نشاطهم الاقتصادي ، وبخاصة الثُّريَّا ، والدَّبَران ، ومَنْكب الجَوْزَاء ، والشِّعرَى اليَمانِيّة ، وسُهَيْل . وبالمثل تنبه البدو أيضا الى النجوم ليهتدوا بها وبخاصة الجَدْي (النجم القطبي) الذي يتجه دائماً الى الشمال ، ويقوم نجم العَيُّوق Capella[٥٩] اللامع بدور مشابه ، فهو يشير دائماً الى مكان الثُّريَّا ، ولذلك سماه البدو « عَيُّوق الثُّريَّا » ، وقد أشير اليه في الشعر القديم .[٦٠]

وقد يبدو رأيي في محدودية تراث النجوم البدوي مفاجأة للكثيرين وبخاصة على ضوء السمعة العريضة لعلم الفلك العربي الاسلامي القديم وازدهاره في العصور الوسطى ، ولكني اعتقد أن أصل هذا العلم لم ينبع من عرب الصحراء ، بالرغم من أنه كان مدموجاً ببعض أساطيرهم .

ومن المعروف أن العرب استوردوا أصول العلوم من الخارج وبخاصة من اليونان والهند ، وأضافوا اليها فيما بعد اسهاماتهم[٦١]، وقد ثبت أن التقسيم السنوي للبدو القدماء (المُدوَّن بالشعر)[٦٢] مأخوذ عن حضارات أخرى[٦٣]، وكذلك الحال في علم التنجيم ، ولا يستبعد أن ظاهرة السِّمَيِّحْ مأخوذة من المعارف التي جمعها المنجمون العرب في القرن التاسع م ، وأخص بالذكر منهم (أبو مَعْشَر) الفلكي البغدادي المعروف .[٦٤]

التعليقات والهوامش

١) مواري . ج . دبليو

Murray, G.W. : Sons of Ishmael, London, 1935, 164-6

* [معجم المستشرقين/للعقيقي/ج ٢/ص ٥٣٤]

- مُوزِيل ، أَلويْس

Musil, Alois: Arabia petraea, III, Wien, 1908, passim

Musil, Alois: The manners and customs of the Rwala Bedouins, New York, 1928. Passim.

* [معجم المستشرقين/للعقيقي/جـ ٣/ص ١٠٣٦]

- شُقَير ، نَعُّوم : تاريخ سيناء والعرب / القاهرة ١٩١٦ / ٣٥٦ - ٣٥٧ .

٢) يرجع أصل القصيدة المأخوذ منها هذا البيت الى عام ١٨٧٧ م ، وذلك طبقاً لكلام موزيل الذي نقلها في كتابه (Manners, 182-6) وقد سمعت هذه القصيدة من شخصين في سيناء وهما عوده سليمان عَليّان وحسين سليم حسن ، وهناك بعض الاختلاف بين نص موزيل والنص الذي سمعته ، ولكن البيت المكتوب هنا واحد في النصين .

وفي كلتا الروايتين كان راكب المطية يُحوِّل عنق مطيته بعيداً عن سُهَيْل ، وهذه اشارة واضحة الى انه لم يكن مسافراً باتجاه الجنوب ، وقد فهم موزيل فهماً معاكساً وترجم النص الأصلي كما لو كان الراكب مسافراً حقاً الى الجنوب . ويتضح خطأ موزيل من قراءة نص القصة التي رويت له ملازمة للقصيدة وهي تحكي أن الراوي الأصلي نظم الشعر حين كان مسافراً من الجوف الى حائِل ، أي في اتجاه الجنوب الشرقي ، فاذا كان نور الجَدْي منعكساً حقا على

ورك ناقته ، فلا يمكن أن يكون مسافراً باتجاه الجنوب (Manners, 355) .
٣) سمعت هذا المثل أولاً من الحاج زمَيْلي سعيد سالم .
٤) (Manners, 273-4) ، ترجم موزيل « نِجْم » الى stars أي نجوم ، ولكن « النِجْم » هنا يعود الى الثُّريَّا ، وهذه النسبة قديمة جدا ، انظر :
- المفضليات/شرح الأنبارى/تحقيق كارلوس لايل/طبعة بيروت ١٩٢٠/ص ٢٤٧/البيت رقم ٧ (من قصيدة لعمرو بن الأهتم) .
* [وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعَوْتُهُ
وَقَدْ حَانَ مِنْ نَجْمِ الشِّتَاءِ خُفُوقُ

المُسْتَنْبِح : الرجل يضل الطريق ليلا فينبح لتجيبه الكلاب إن كانت قريباً منه ، فإذا أجابته تبع أصواتها ، فأتى الحي فاستضافهم . والنجم هنا : الثُّريَّا ، وذلك أنها تخفق للغروب جوف الليل في الشتاء].

— Jurdak, M.H., Astronomical dictionary: English – Arabic, Beirut, 1950, (Najm), (Pleiades).

٥) سمعت هذا المثل أولاً من مُصْلِح بن عامِر .
٦) سمعت هذا المثل أولاً من محمد الأَعْصَم من قديرات الأَعْصَمْ التياها .
٧) انظر : (Ursae Majoris) — Jurdak, Astronomical dictionary
٨) انظر المفضليات / ص ٦٦٥/ البيت رقم ١٥ (من قصيدة لبشر بن أبي خازم)
* [أُرَاقِبُ فِي السَّمَاءِ بَنَاتِ نَعْشٍ
وقَدْ دَارَتْ كَمَا عُطِفَ الصِّوَارُ

سَهَرَ يُراقب النجوم . وخصّ بنات نعش لأنها لا تغيب مع النجوم ، هي تدور وتنعطف في جانب السماء حتى يبهَرَها الصبح أي يذهب بضوئها . الصِّوارُ : جماعة البقر . وعَطَفَ الصوار ، لأنه رأى شيئا فزع منه فَراغَ عنه . وخصّ بقر الوحش لبياضه] .

٩) — Allen, R.H., Star – names and their meaning, 1899 (reprint New York, 1963), 432-3.

ذكر أَلِن رواية سمعها رحالة أوربي في الخليج العربي ، وهي عكس الفكرة السائدة هنا ، فبنات نعش تشك في الجَدْي وتسعى للانتقام منه ولكنها تنتظر العون من سُهَيْل .

١٠) سمعت هذا البيت أولاً من سَليم أبو فهيد من حَسابْلَة التَرابِين .

١١) سمعت هذا البيت أولاً من حميد السوداني ، « ويِنْدَمَا » تعني : المتهم بالجريمة .

١٢) يربط بدو جبال النقب بين سُهَيْل والزهرة البيضاء (Urginea maritima) * التي يسمونها « عُود السُهَيْل » ، ويقول سوَيْلِم سليمان أبو بِلايا من سَراحِين العَزازْمَة أن البدو يعرفون عند تفتح هذه الزهرة في أوائل سبتمبر أن سُهَيْلاً سوف يشرق بعد شهر ونصف تقريبا من هذا التاريخ . ولمعرفة أهمية سُهَيْل في شمال الجزيرة العربية يراجع : Dickson, H.R.P., The Arab of the desert, fourth ed. London, 1967, 51, 248. 254.

* [سم الفار (**Urginea maritima**) :

من الفصيلة الزنبقية ، ويوجد منه صنفان ، أبيض تستعمل درناته كمقيء ولادرار البول ، أما الصنف الأحمر فيستعمل في قتل الفيران .

- النباتات الزهرية : نشأتها ، تطورها ، تصنيفها / الدكتور شكري إبراهيم سعد/الطبعة الرابعة / ١٩٧٩ / الهيئة المصرية العامة للكتاب / فرع الاسكندرية] .

١٣) سمعت هذا المثل من عيد عوّاد جُمعه ، و « سَيْل » هو مصطلح بدوي (للفيضان المحلي الذي تسببه الأمطار الغزيرة في الجوار المباشر أو (فيضان الغُسْل) ، وقد عبر البدو في عصر ما قبل الاسلام في أشعارهم عن خوفهم من السيل الذي يتلو تشريق سُهيل ، انظر : Pellat, Charles: (Dictons rimes, anwa' et mansions lunaires chez les Arabes) Arabica, II, 1, 1955, 21.

وللاطلاع على المراجع الشعرية عن نزول المطر مع سُهيل في جنوب غرب

الجزيرة العربية انظر : Serjeant, R.B.: Prose and poetry from Hadramawt,
London, 1951, p. 164, No. 51.

١٤) * [Heliacal rising : (التَشْريق) ، وقد سماه كذلك البيروني في كتابه (التفهيم لصناعة التنجيم) .

ـ ملاحظات على المصطلحات الفلكية / جورج حبيب الخوري .
مجلة اللسان العربي / الرباط / العدد ١٩٧٠/٧ / ص ٣٦٦] .

١٥) سمعت هذا المثل من مُصْلِح بن عامِر ، وقد شهدت شخصياً في منتصف اكتوبر ظاهرة غريبة ثابتة بين بدو جبال النقب ، وهي أن الجمال التي تنام بمواجهة الجنوب تستيقظ عند شروق سُهَيْل مديرة جذعها باتجاه الشمال لتحمي صدرها من رياح الجنوب الباردة المصاحبة لسُهَيْل .

وقد أشار البيروني في كتابه : (الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ترجمة : ساشو ، اي . لندن / ١٨٧٩ / ص ٣٣٧) أن البدو في عصر ما قبل الاسلام ربطوا بين أوضاع النجوم وهبوب البرد ، ولكنهم لم يلاحظوا سُهيلاً بل تطلعوا الى اقتران القمر الجديد بكوكبة الرامي (Sagittarius) في أكتوبر . حول الاقتران ، انظر الملاحظة رقم : ٥١ .

١٦) يبدو أن « * البُرْبَارَه » هو الاسم الشائع للشِّعرَى اليَمانِيَّة في سيناء والنقب (تاريخ سيناء / شُقَيْر / ص ٣٥٦) ، وربما يكون مشتقاً من نباح الكلب لأن الشِّعرى اليَمانِيَّة من نجوم كوكبة الكلب الأكبر ، وقد سمعت في مناسبتين اسما آخر لها : وهو «المِرْزَمْ» ، وفي الحقيقة أنه اسم لنجم آخر قريب من الشِّعرَى اليَمانِية في الكوكبة نفسها (Canis Majoris) (انظر : (Jurdak, (Astronomical dictionary "Mirzam") ، كما أخبرني حسين سليم باسم ثالث وهو « الخَوِيَّانَة » ، وربما يكون مشتقا من (خَوَّان) وهو اسم لأحد الشهور العربية من عصر ما قبل الاسلام .

*[البُرْبارَه :

- جاء في لسان العرب (برر) : « البَرْبَرَة هي التخليط في الكلام مع غَضَب ونُفور أو الكَلام والجَلَبَة باللسان » .

- وذكر ابن قتيبة في الأنواء / ص ٤٨ أن الكلاب والذئاب تَكْلُب عند طلوع الشِّعرَى اليَمانِيَّة] .

١٧) أخبرني عوّاد عن دوام الوَسْم ٧٥ يوما وأكد كلامه معظم الرواة الآخرين ، أما ملاحظتي عن انتهاء الوَسْم (في سيناء والنقب) عند الشروق الأول للشِّعرَى اليَمانِيَّة عند الغروب فهي استنتاج خاص بي لم يخبرني عنها أحد مباشرة بل على العكس سمعت منهم خبراً مخالفاً سأشير اليه لاحقاً في الملاحظة رقم : ٣٤ .

ومع ذلك : ١) فإن الشِّعرَى اليَمانِيَّة تشرق فعلا بعد ٧٥ يوما تقريبا من شروق الثُّريّا .

٢) ويربط بدو صحراء سوريا (على اختلاف حساباتهم الفصلية كثيراً عن حسابات سيناء والنقب) بين الشروق الأول للشِّعرَى اليمانِيَّة عند الغروب وبداية فصل الشتاء (Musil, Manners, 8) .

١٨) للاطلاع على موسم الشتاء والربيع عند بدو الرُّوالَة ، انظر (Musil, Manners) ، ولمعرفة دوام هذين الموسمين في شمال شرق الجزيرة العربية ، انظر (Dickson: Arab of the desert, 247 — 8 :) ، حيث يسمى موسم المطر أيضا بالوَسْم ، ولكنه ليس وَسْم الثُّرَيّا المشار اليه في البحث .

١٩) أخبرني عيد عوّاد أن الأَرْبَعِينِيَّة تنقسم الى فترتين ، في العشرين يوماً الأولى تمتص الأرض المياه ، وفي العشرين يوماً الأخرى يبدأ تكوين النبات والعشب استعداداً لفصل الربيع .

٢٠) قسم القدماء السنة الى ٢٨ قسماً ، كل واحد منها مربوط بطلوع نجم معين ، ويسمى (* النَّوْ) أو (النَّوْء) (Pellat, "Dictons rimes; passim,) ، والجدير بالذكر أن مواعيد تشريق النجوم عند بِلاّ مأخوذة من

المصادر العربية القديمة ، وهى تسبق مثيلاتها في سيناء والنقب من ٢ الى ٦ أسابيع ، وقد أكد لي هذا الفرق موردخاي هاك ، أما دِكسُن فأشار في كتابه (Arab of the desert, 51, 248, 254) إلى تشريق لسُهَيْل في شمال الجزيرة العربية يطابق ما ذكره بِلاّ في كتابه ، والمرجح أن المعلومات القديمة التي اعتمد عليها بِلاّ تخص شبه الجزيرة العربية وما حولها ، ومما يؤكد ذلك أن مرجعه الأساسي (* ابن قتيبة) هو عالم عراقي من سكان الكوفة .

وغالباً ما يسود تعارض واضح في تسجيل حركات النجوم ، وكمثال على ذلك نعرض دراستين لسارجنت . إحدهما عن جنوب غرب الجزيرة العربية : (Star-calendars and an almanac from south – west Arabia, Anthropos, XLIX, 3-4, 1954, 437) الأخرى عن البحرين : (Fisher – folk and fish – traps in al-Bahrain, BSOAS, XXXI, 3, 1968, 513) ، وكما يروي سارجنت (طبقاً للحسابات الفلكية لهاتين المنطقتين وبمقارنتهما مع منطقة سيناء والنقب) فان بعض النجوم (كسُهَيْل) تشرق هناك في وقت أبكر ، وبعضها تتأخر في شروقها (كالثُريَّا والدَّبَران) وأخرى تشرق في الوقت نفسه (كقلب العَقرب ومنكب الجَوزاء) ، ومثل هذه الحالات لا يمكن الركون اليها في علم الفلك لافتقارها الى الدقة والثبات .

ومما يجدر ملاحظته أن مدلول (نَوْء) اتسع مع الزمن ليشمل معنى (فَصْل) ، وغالباً ما يذكر النَوْء دون أن يلحق باسم فصل معين ، وفي هذه الحالة فهو يدل على فَصل الربيع . ونجد هذه المعلومة واضحة في بيت من الشعر قاله عنيز أبو سالم من حَسَابْلة الترَابين ، يتوعد فيه شخصا أساء اليه ، ويقول له أنه سيصبر على إساءته حتى يسترد قوته ، كما تسترد الجَقْمَة (الناقة) الهزيلة قوتها مع عودة نَوّ الرَبيع :

«ونُصْبُرْ لِماَّ يِصير عِشب الشَفا كوْمْ
وتـربَّـع الجَقْمَـة عـلى نَوّ دايـرْ»

* [النَوْء :

انظر (مَعنى النَوْء) في : الأنواء لابن قتيبة / الطبعة الأولى ـ الهند / ١٩٥٦ م / ص ٦ .

* ابن قتيبه (عبد الله بن مسلم) : الأعلام (٤ / ص ١٣٧)] .

٢١) على الرغم من أن معظم الرواة اتفقوا على توحيد القافية (رِشي ـ اشتيِ) ، فإنهم اختلفوا حول ماهية النجوم التي تشرق على خط زوال واحد (حتى أن بعض المجموعات المقترحة كانت مستحيلة فلكياً) وحول الفصول التي توافق ظهورها ، وأعتقد أن نص الرواية المكتوب هنا الأقرب الى الصواب ، وقد سمعته من مُصلِح بن عامِر .

٢٢) أخبرني بذلك الأمر موردخاي هاك .

٢٣) سمعت هذا المثل من سليمان نصّار الهِرش ، ان دور سُهَيل في سيل المطر وسقوط البلح من النخل مرتبط بأصل اسمه العربي ، فسُهَيْل و (إسْهَال) مشتقان من مصدر لغوي واحد (سهل) .

٢٤) انظر (Manners, 8) ، وقد سمع دِكْسُن أيضا هذا المثل في شمال شرق الجزيرة العربية (Arab of the desert, p. 247) .

٢٥) *[شمرخ : الشِّمْرَاخ : العِثْكالُ الذي عليه البُسْرُ ، وأَصله في العِذْق ،

ويقال : شَمْرَخَ النخلةَ : أي خَرَط بُسْرَها .

ـ لسان العرب (شمرخ) .

والشِّمْراَخ نوعان ، مذكر ومؤنث ، وتكون أزهاره وحيدة الجنس إما مذكرة أو مؤنثة .

ـ أسس علم النبات / د . تادرس بن قريوس وآخرون / ط عام ١٩٦٦ / دار المعارف المصرية] .

٢٦) أخبرني الشيخ عبد الله درويش من صَخانَة مُزَيْنه برواية أخرى : « الثُّريَّا ، عَدِّل اقِني » : أي اذا أشرقت الثريَّا اجعل الغصن مستقيما ، ذلك لأن

الغصن المحمل بالبلح يصبح ثقيلاً ، ولذلك يرفعه البدوي على سعفة مجاورة حتى يتوزع عبء العذق الجديد بين الغصن والسعفة ، ويبقى هكذا حتى يسقط ثلثا بلح العذق الأخضر . أما السجع والمعلومات المذكورة عن زراعة النخيل فقد أخبرني بها عيد عواد وسليم بن جازي . وقد أشار بِلاّ في كتابه (Dictons rimes, 23 — 4) الى الشعر الجاهلي الذي يقارن بين ظهور النجوم ومراحل زراعة النخيل ، ولكن هذا الشعر لا يرتبط بنظام النجوم نفسه التي ذكرتها في بحثي ، كما أن نجوم بِلاّ تبكر في الشروق شهراً عن مثيلاتها في سيناء والنقب . انظر ملاحظة رقم ٢٠ .

٢٧) * [المُجَيْدِحْ :

جاء في لسان العرب (جدح) : « مَجادِيحُ السماء : أنواؤُها ، والمَجاديحُ : واحدها مِجْدَحٌ ، وهو نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنها تُمْطَرُ به كقولهم الأنْواء ، وهو المُجْدَحُ أيضاً ،وقيل :وهو الدَّبَرانُ لأنه يَطْلُع آخراً ويسمى حادي النُجوم] » .

٢٨) المقصود بلفظ « الجَوْزَا » هنا هو (مَنكب الجَوْزاء) ، ويرى عيد عوّاد أن الجَوْزا هي النجوم الثلاثة التي تشكل حزام الجوزاء (أو كوكبة الجبار) وقد أطلق العرب القدماء اسم الجَوْزَا على الكوكبة بأسرها ، أنظر، (Jurdak, Astronomical dictionary 'Orion').

٢٩) روى لي عيد عوّاد وسليم بن جازي رواية أخرى « البُرْبَارَه ، قِطْعِ اقْني » : أي اذا أشرقت الشِّعرَى اليمانية اقطع الغصن .

٣٠) سمعت هذا القول من حسين سليم من العَيَايْدَه ، وهي قبيلة تمتلك بساتين نخل كثيرة على امتداد (البحيرة المرة الكبرى) ، ومعنى «شَظّ. عَرِي » متعلق بربط أكياس التمر ووضعها على الدابة ، حيث يوضع كيسان على ظهر الحيوان ، كل في جهة مقابلة للأخرى كعدلي الخرج ، وتربط عُرْوَة (جمعها عَرِي في لهجة البدو) في كل زاوية من زوايا الكيسين ويوضع في كل عُرْوَة حجر صغير « دراة » لتثبيتها ، وعندما يوضع على ظهر الدابة تجمع عُرَا كل كيس في عُرْوَة واحدة وتوضع عصا « شِظَاظْ » بين العروتين الناتجتين لتحفظهما في وضع مستقيم

«يِشِظّ» .

٣١) يستشهد أَلِن في كتابه (Star names, 398) بالبيروني ، ويدعي أن اسم الثُّرَيَّا مشتق من (ثَرْوَنْ) أي الوفرة والغزارة وذلك لكثرة الكلأ والخيرات بعد أمطارها ، ولكني أعتقد أن اسمها مشتق من (الثَرَى) وهي النداوة في الأرض ، أي أن الثُّرَيَّا هي النجم الذي يجلب النداوة للأرض ، وقد استعان جُمعَه عيد دَخْلاَلَه من حَسَابْلة التَرابين بهذا المعنى عندما كتب رسالة الى صديق له مسجون ، وهو يصف فيها ما عاناه من فراغ ووحدة لبعده عنه : « الأَرْض عُقْبَكْ ، نَاشْفِه عَنْ ثَرَاها » (أي أنه يشبه غياب صديقه بجدب الأرض) .

٣٢) سمعت هذا القول من موسى العَطاوْنَه ، وكلمة « يِنْشِلْ » تعني : سحب شيء من الأسفل الى الاعلى ، كالماء من البئر .

٣٣) قال لي بعض الرواة (الحاج زمَيْلي وعيد عوّاد وموسى العَطَاوْنة) أن وَسْم الثُّرَيَّا يبدأ بشروق الثُرَيَّا مع القمر في الشرق ومرافقتها له عبر السماء ، ولمراجعة المصدر القديم لهذه المعلومة من عصر ما قبل الاسلام (انظر : الآثار الباقية / البيرونى / ٣٣٦ :

« اذا ما البَدْرُ تَمَّ مع الثّرَيَّا أَتـاكَ البَردُ أَوَّلُـه الشّتاءُ ») .

وكذلك يذكر البيرونى قولاً آخر يحدد نهاية الشتاء بحدوث اقتران القمر والثُّرَيَّا في اليوم الثالث من الشهر * ، وقد بلغني سوَيْلِم أبو بِلايَا من العَزازْمَة أن البدو المعاصرين يستدلون بهذا الاقتران ، على بداية الصيف « أَوَّل القَيْظ » :

* [إذا مـا قـارنَ القمـرُ الثُريَـا

لـثـالـثـةٍ فـقـد ذهـب الـشّـتـاءُ

- الآثار الباقية عن القرون الخالية/

أبو الريحان البيرونى / ص ٣٣٧] .

٣٤) أخبرني كل من عيد عوّاد وسالم بن جازى والحاج زمَيْلي عن تقدير آخر

يعتمده البدو ، حيث يدوم عندهم وسم الثُّريَّا ٧٧ يوما متضمنا فترة سيادة الشِّعرى اليمانية ، وهم يقسمون هذا الموسم كالآتي :

(الثُّريَّا ←٢٥ ليله الدَّبران ←١٤ ليله مَنكب الجوزاء ←٢٤ ليله الشِّعرَى اليمانِيَّة ←١٤ ليله) .

وقد ذكر شُقَير في كتابه (تاريخ سيناء / ص ٣٥٦) تقديراً مختلفاً قليلاً :
(الثُّريَّا ←١٤ ليله الدَّبران ←٢٤ ليله مَنْكب الجَوْزاء ←١٤ ليله الشِّعرَى اليمانِية ←٢٥ ليله). وفي الحقيقة ، فان هذين التقديرين لا يعبران بدقة عن الفترة الزمنية الفاصلة بين الظهور المتعاقب لهذه النجوم ، وما ذكرته في بحثي هو الصحيح :
(الثُّريَّا ←٢٥ ليله الدبران ←٢٥ ليله مَنْكب الجَوْزاء ←٢٥ ليله الشِّعرَى اليمانِيَة) .

٣٥) انظر المفضليات/ص٦٤٣/البيت رقم ١١ (والقصيدة لبشر بن أبي خازم)
* [فَلَمَّا رَأَوْنَا بِالنِّسَارِ كَأَنَّنَا
نَشَاصُ الثُّرَيَّا هَيَّجَتْهَا جَنُوبُهَا

النِّسَار : موضع . نَشاصُ الثُرَيَّا : ما ارْتَفَع من السَحابِ بِنَوْئِهَا ، شبَّه الكتيبة في كثرتها بهذا السحاب . هيجتها جنوبها : الهاء ترجع على الثُريَّا ، فاذا كان مع السحاب رِيحٌ كان أكْثَرَ له . لأنَّ الجَنُوبَ تُؤَلِّبُ السَحابَ] .

٣٦) سمعت هذه القصيدة من عودة سُليمان ، والملاحظ أن الصورة البلاغية في الشطر الثاني من البيت شائعة جداً في الشعر البدوي . وقد سمعت هذا البيت أيضاً ضمن قصيدة رواها لي مُصْلِح بن عامر ، ورأيته كذلك في قصيده نقلها موزيل في كتابه (Arabia Petraea, III, 245) ، وقد ترجم موزيل كلمة « زَامِي » بمعنى منثور ، بينما الترجمة الحرفية الصحيحة لها هى : طويل أو بارز ، وتستعمل عادة لوصف سيقان القمح ، وقد ضرب لي مُصْلِح بن عامر مثلاً ، فاذا قال البدوي : «شُفت زَوْمِةِ الزَرْعَة» فهو يعني

أنه رأى سيقان القمح الطويلة ، وهناك أيضاً قول معروف عن القمح أخبرني به موسى العطاونة «إن زَوَّمْ ، عَوَّمْ» ومعناه : إذا طالت سيقان القمح فهي تعوم ، أي ترفرف مع الريح .

- كلمة قُذْلَة تعني : (شعر مقدم الرأس)انظر (Musil, Arabia Petraea, III, 160) .

٣٧) سمعت هذا البيت من عيد عوّاد ، والرَوْض هو الوادي الضحل الضيق .

(٣٨) سمعت هذا البيت من عودة سليمان ويبدو أنه قول خاص بهذه القبيلة لأن موزيل سمعه منهم أيضا (Arabia Petraa, III, 7) ولكنه سمع كلمة «برُوزْ» أي : التلال البارزة ، بدل كلمة جبال .

٣٩) (Manners, 296) : ان الدَّبَران كان يتبع دائماً بنات أطلس السبعة (اللواتي حُولن وفقا للميثولوجيا الاغريقية الى نجوم الثُّريَّا) للتودّد اليهن ، انظر : (Jurdak, Astronomical dictionary, 188) (Allen, Star names, 389) ، ويسمي البدو في صحراء سوريا الدَّبَران «التُوَيْبِعْ» وهى صيغة تصغير للتَابع .

٤٠) [* الجَدَعْ (مؤنثه جَدْعَه) : هو الجمل في سن الخامسة ، و (الحِوار) أو (المُبَارِي) هو ولد الناقة قبل أن يُفْطَم .
- تاريخ سيناء والعرب / نعّوم شقير / ص ٩٥] .

٤١) سمعت هذه الأغنية من حسين سليم ، و « زَوْزَا » فعل معناه : يقفز في فرح ، ولمعرفة المزيد عن الحِدَاوِي ، انظر : (تاريخ سيناء / شقير / ٣٤٦ - ٣٤٧) .

٤٢) بلغني هذه المعلومات بالتفصيل موسى العَطَاوْنة وأكدها لي فيما بعد مُصْلِح ابن عامر وسليمان نصار الهِرْش .

٤٣) أخبرني بهذا عيد عوّاد ، وهذه الاعتقادات قديمة جدا ، وقد ذكر البيرونى (الآثار الباقية / ٣٤٤) أن العرب يتشاءمون من غياب الثُّريّا : « وأيام استتارِ هذه المنزلة تحت الشُّعاع وهى أربعون يوماً عند العرب أَرْدَأُ الأيام وأَوْبَى أوقاتِ السنة » واستشهد بحديث الرسول « * إذا طلع النجم

ارتفعت العَاهَه من الأرض وفي رواية أخرى رُفعَت العَاهه من كل بَلْدَة » :

*[رُوِي هذا الحديث بألفاظ متقاربة ، انظر لروايته ، وطرقه ، وتفسيره :

١) مسند الامام أحمد بن حنبل / جـ ٢ / ص ٣٤١

- المكتب الاسلامي / بيروت

٢) صحيح البخاري / جـ ٤ / ٣٩٤

- دار المعرفة / بيروت

٣) كَشف الخفاء ومُزيل الالباس / جـ ١ / ص ١١٠

- مؤسسة الرسالة / بيروت

٤) ضعيف الجامع الصغير للألباني / جـ ١ / ص ١٠٤

- المكتب الاسلامي / بيروت - دمشق]

٤٤) * [المسيخ (المليخ) : المَسيخُ من اللَّحم الذي لا طعم له ، ومن الطعام الذي لا ملح له ولا لَون ولا طَعم .

- لسان العرب (مسخ)] .

٤٥) لقد سمعت أيضا في النقب (من سوَيْلِم أبو بِلايا من العَزازْمَة ومُوسى العَطاوْنَة) أنه اذا اقترن * نجم أحمر (وهو المريخ) بالثُّريّا فهذه بشرى بالأمطار والعشب في العام القادم ، أما موردخاي هاك فأخبرني أن المريخ يقترن أحياناً مع الثُّريّا وأحياناً أخرى لا يفعل .

* [أخطأ الكاتب هنا فذكر أن كوكب المريخ نجم].

٤٦) سمعت هذا الشعر من قائله : حَمْدَان أبو سَلامَة أبو مسعود من مُزينة ، ثِعُول تعني : (الوابِل المُنهَمِر) أي المطر الغزير المفاجيء ، وكلمة « رِجْدْ » هي لنوع من السحاب ، أما «خَلاخِيل» فهى جمع « خَلْخُول » وتعني : الوادي الجبلى الصغير الضيق والشديد الانحدار .

٤٧) أخبرني بهذا الأمر عيد عوّاد وسليم بن جازي ، وفي النقب أكد لي كلامهما سَلام سليمان الوَجّ من جَنابِيب التِياها .

٤٨) أخبرني عن السِّمَيِّحْ كل من سليم بن جازي وحميد السوداني ، وفي اعتقادي أن تحديد أيام السِّمَيِّحْ بالرقم ٧ ليس ناجما عن ملاحظة البدو الشخصية ، بل هي خبرة قديمة مأخوذة من حسابات علم التنجيم في العصور الوسطى . لقد قسم علماء التنجيم العرب دائرة البروج الشمسية إلى اثني عشر قسماً ، كل واحد منها ثلاثون درجة وتهيمن عليه كوكبة معينة . فاذا كان القمر يتقدم شرقاً كل ليلة ، بمعدل ثلاث عشرة درجة ونصف الدرجة ، فالنتيجة أنه ينهي تجواله عبر الكوكبات الثلاث في سبع ليال ،ولكن القمر في الواقع يأخذ أثناء دورته طريقا مختصراً ، فهو يمر خلال كوكبة العقرب ثم ينعطف شمالاً (قبل أن يكمل باقي الكوكبة الطويلة) في طريقه الى كوكبة الرامي .

إذن فالحقيقة أن القمر ينهي جولته خلال ست ليال أو حتى أقل - (هذه الحسابات من موردخاي هاك) - وفوق ذلك ، لا بد من الاشارة الى أن علماء التنجيم في العصور الوسطى عندما وضعوا دائرة البروج القمرية أو (منازل القمر) ، حددوا عدد منازل القمر في دائرة كوكبات السِّمَيِّحْ الثلاث بستة منازل (من ١٦ ← ٢١) انظر (Jurdak, Astronomical dictionary, 'moon stations') ، وعلى الرغم من ذلك يصر البدو على دوام السَّمَيِّحْ سبع ليال ،وقد أشار شقير - على أخطائه - إلى حل معقول لهذه المشكلة (انظر تاريخ سيناء/٣٥٧) ، فهو يرى أن بعض القدماء والبدو أضافوا النجم (سَعْد الذَابح) (وهو في كوكبة الجَدْي Capricorn والمنزلة رقم ٢٢ للقمر) ضمن دائرة كوكبات السَّمَيِّحْ الثلاث ، وبالتالي فان القمر يمر به في الليلة السابعة لتكتمل حسبة البدو . انظر :

(Jurdak, Astronomical dictionary, S'ad al-Dhabih).

٤٩) * [منازل القمر في السَّمَيِّحْ من المنزله ١٦ ← المنزله ٢١ وهي :

١) زُباني العقرب : المنزلة ١٦

٢) الإكليل : المنزلة ١٧

٣) قلب العقرب : المنزلة ١٨

٤) شَوْلة العقرب : المنزلة ١٩

٥) الوَصْل (الموضع بين النعام الصادر والنعام الوارد)
المنزلة ٢٠

٦) البَلْدة : المنزلة ٢١

ـ صور الكواكب الثمانية والأربعين /
عبد الرحمن الصوفي / منشورات دار الآفاق
الجديدة / بيروت / ١٩٨١ م] .

٥٠) يعود أصل تسمية البدو كوكبة الميزان برأس العقرب الى عصر الكلدانيين الذين اعتبروه زُباني العقرب ، وكانت دائرة البروج في زمانهم تنقسم الى ١١ كوكبة وكذلك الحال بالنسبة لليونان والرومان القدماء . انظر :
(Encyclopedia Britannica, eleventh ed. Zodiac)
وفي العصور الوسطى ، أخذ علماء الفلك العرب عن علوم اليونان ، وسموا أيضا ألمع نجمين في كوكبة الميزان (زُباني العقرب) : الاول زُبانَا الشمالي (zubeneschamali) والثاني : زُبانا الجنوبي (zubenelgenubi) ، انظر :
(Jurdak. Astronomical dictionary, 299)

٥١) أخبرني سليم بن جازي بالتفصيل عن منازل القمر في أيام السَّميْح ، وقد فسر البدو لي عملية الاقتران بأن القمر والنجم المقترن به يكونان على خط زوال واحد ، وليس بالضروره أن يكونا متقاربين . ومن الواضح أن البدو كانوا يعرفون خط سير القمر بالضبط ، ومن أمثلة ذلك ما أخبرني به سليم بن جازي عن مرور القمر (تحت البَلْدَة تماما) وهذه حسبة فلكية دقيقة جداً ، وقد ذكر شُقَير (تاريخ سيناء / ص ٣٥٧) السَّمَيْحْ وتأثيره ولكنه دعاه باسم آخر ، وأعطى وصفاً مختلفاً لرحلةالقمر وتحدث عن منازل مستحيلة فلكياً ، وقد علل أخطاءه فيها بعد أن البدو أبلغوه بمعلومات خاطئة ، وحاول مواري في كتابه (Sons of Ishmael, 165) تعليل آراء شُقَير ولكنه لم ينجح أيضا .

٥٢) قد يبدو غريبا أن يطلق اسم « السَّمَيِّحْ » وهو مشتق من (سَمَحَ) على فترة

يحرم فيها كل شيء ، وقد أخبرني ابراهيم عيد أَبو كَرْش من وهيبَاتْ الجَبَاليَة وهو شخص معروف بالتنجيم ، أن هذه التسمية المتناقضة مقصودة وهى حيلة سحرية لتجنب ايقاظ الأرواح الشريرة . وفي النقب ، أخبرني سالم عودة الطَمْطَاوي من عصيات العزازمة عن حيلة مشابهة ، فهم يمسكون بعقرب ويحرقونه من أجل تحصين المولود الجديد ضد لدغة العقرب ، وتسمى (هذه العملية « أَرْنَبَه » .

ويروي موزيل في كتابه (Manners, 390) أن بدو الرُوالة في صحراء سوريا يستخدمون كلمة « سَمْح » للدلالة على رقم سبعة ، وهم يعتقدون أن كلمة سبعة مسكونة بالأرواح ، فاذا نطقها شخص ما فهو بذلك يزعج الأرواح الشريرة ويطرد الخيرة منها .

وقياساً على ذلك ، فربما تكون تسمية « السّمَيِّحْ » صيغة تصغير لكلمة سَمْح أي سبعة ، على اعتبار دوام السّمَيِّحْ لسبع ليال .

ومن الواضح أن أحداً لم يخبر موزيل بمعلومات واضحة عن السّمَيِّحْ ، ولكنه سمع منهم (Arabia Petraea, III,208) أن البدوي لا يقرب زوجته في ١٠ يوليو ، لأن البَلْدَة في هذه الليلة تكون في منتصف الطريق بين القمر والثُّريّا ،وكذلك الحال في ١٠ أغسطس لحدوث اقتران فيه . وللحصول على شرح لكلمة بَلْدَة ، انظر : (Jurdak, Astronomical dictionary, 221)

٥٣) روى لي هذا الشعر سليم بن جازي ، وهو منسوب لأبي زيد الهلالي .
الفعل « هَرَق » يعني : أن ينزلق السيف من غمده ، وفي رواية شُقَير هذين البيتين (تاريخ سيناء / ص ٣٥٧) وضع كلمة « هَرَبْ » بدلا من « هَرَقْ » ومعناها أعم من الأولى : (ينزلق) .
« حَمَادْ » تعني : الصحراء المسطحة المغطاة بالصخور .

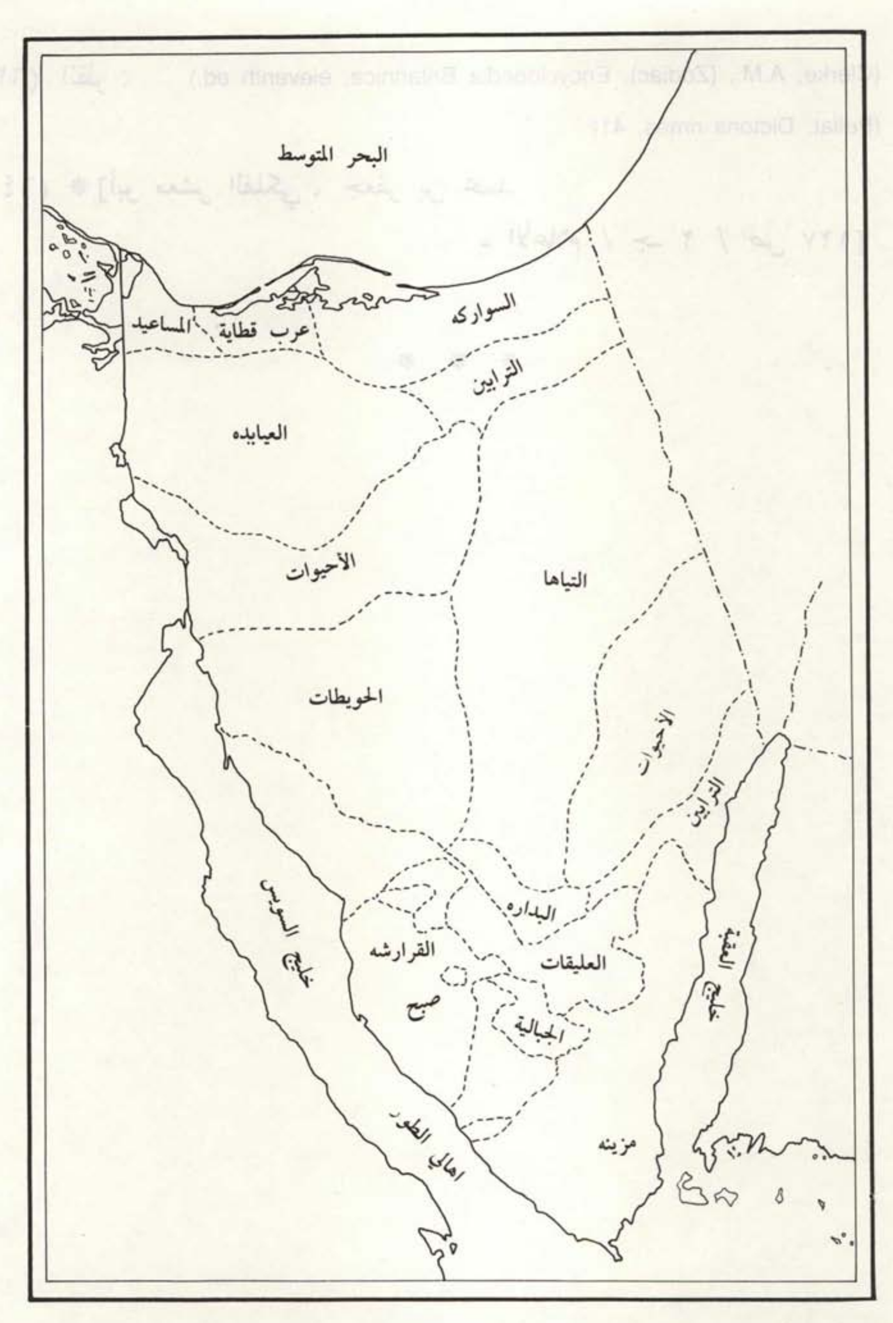
٥٤) سمعت هذا القول من سليم بن جازي ، وقد ذكره شُقَير أيضا في كتابه (تاريخ سيناء / ص ٣٥٧) ولكن دون «بيْنْ» ، ولذلك فقد كان استنتاج شُقَير بأن شهري الحمل والولادة (نوفمبر وأبريل) هما فقط الخاليان من تأثير السّمَيِّحْ .

٥٥) انظر (تاريخ سيناء / ص ٣٥٦) .
٥٦) سمعت هذا البيت عن عودة سليمان من الأَحْيَوات .
٥٧)[* الجُذَامة من الزرع : ما بقي بعد الحصد .
ـ لسان العرب (جذم)] .
٥٨) (Manners, 8-9) : ترجم موزيل خطأ « السَمَاكِينْ » (كوكبة الحوت) في البيت الشعري على أنها نجم (السماك الرامح) ، مع أن هذا النجم لا يشرق في ليالي الشتاء .
حول «نَوْ» انظر الملاحظة رقم ٢٠ .
٥٩) انظر (Jurdak, Astronomical dictionary), Capella .
٦٠) انظر المفضليات/ص ٦٦٥/ البيت رقم ١٦ (* من قصيدة لبشر بن أبي خازم)
* [وَعَـانَدَت الثُّـرَيَّا بَعْـدَ هَـدْءٍ
مُـعَـانَـدَةً لَهَـا الْـعَـيُّـوقُ جَـارُ
عاندت : سَقَطَتْ للمَغيبِ . بَعد هَدْءٍ : بعد ذَهاب صَدْرٍ من الليل .
العَيُّوق : كوكب أحمر مضيء بِحِيال الثُرَيَّا في ناحية الشمال] .
٦١) انظر (Nallino, C,A., (Astronomy), Encyclopedia of Islam, first ed.).
٦٢) انـظر (Pellat, 'Dictons rimes', 20-9) و (الآثـار الباقية/ البيروني / ٣٣٦ - ٣٣٨) أما في الزمن المعاصر ، فقد عرف عن بدو العَبَابْدَه في مصر التزامهم بتقويم مشابه حتى الماضي القريب (Murray, Sons of Ishmael, 163-4).
ويقال انه استخدم كذلك بين صيادي السمك في الخليج العربي (Serjeant, Fisher-folk) والزُرّاع في جنوب غرب الجزيرة العربية (Serjeant, star-calendars)
انظر : Landberg, Carlo von, Glossaire datinois,11,Leiden, 1923, 1092-1110 (fql) .

٦٣) انظر : (Clerke, A.M., (Zodiac), Encyclopedia Britannica, eleventh ed.)
(Pellat, Dictons rimes, 41).

٦٤) *[أبو معشر الفلكي ، جعفر بن محمد
- الأعلام / جـ ٢ / ص ١٢٧] .

* * *



* المصدر : أحمد اسماعيل (سكان شبه جزيرة سيناء)

توزيع القبائل في سيناء - (المترجمة)



عن كتاب صور الكواكب لعبد الرحمن الصوفي (المترجمة)



المصدر: صالح العجيري / علم الميقات، ص ٤٧ (مع إضافة ـ المترجمة)

منازل القمر في السميح (راجع ملاحظة رقم ٤٩)

صدر من هذه النشرة

١ ـ زراعة الواحة في وسط وشرق شبه الجزيرة العربية ترجمة الدكتور زين الدين عبد المقصود
٢ ـ اسس البحث الجمرفلوجي مع الاهتمام بالوسائل العملية المناسبة للبيئة العربية
بقلم : الدكتور طه محمد جاد والدكتور عبد الله الغنيم
٣ ـ توطين البدو في المملكة العربية السعودية (الهجر) ترجمة : الدكتور عبد الاله ابو عياش
٤ ـ اثر التصحر كما تظهره الخرائط ترجمة : الدكتور علي علي البنا
٥ ـ سكان ايران ، دراسة في التغيير الديموجرافي ترجمة : الدكتور محمد عبد الرحمن الشرنوبي
٦ ـ القبائل والسياسة في شرقي شبة الجزيرة العربية ترجمة : حسين علي اللبودي
٧ ـ سكان دولة الامارات العربية المتحدة بقلم : الدكتورة امل يوسف العذبي الصباح
٨ ـ السياسات السكانية في افريقية ترجمة : أ . د . محمد عبد الغني سعودي
٩ ـ اثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب أ . د . محمد رشيد الفيل
١٠ ـ نحو تصنيف مورفولوجي لمنخفضات الصحراء بقلم : دكتور صلاح الدين بحيري
١١ ـ مواد السطح في البحرين ـ مسح المصادر واهميته التطبيقية للتخطيط الاقليمي
ترجمة : أ . د . حسن طه نجم
١٢ ـ الطاقة والمناخ ترجمة الدكتور زين الدين عبد المقصود
١٣ ـ التطبيق الهندسي للخرائط الجيومورفولوجي بقلم : د . يحيى عيسى فرحان
١٤ ـ بعض عواقب الهجرة على التنمية الاقتصادية الريفية في الجمهورية العربية اليمنية
ترجمة : د . عبد الاله ابو عياش
١٥ ـ البعثة العلمية الى شبه جزيرة مستدم (شمال عمان) ترجمة : أ . د . محمود طه ابو العلا
١٦ ـ نظام النقل العام والخدمات الترويحية في الكويت استاذ عبد الوهاب الهارون
د . عبد الاله ابو عياش
١٧ ـ مدن الشرق الاوسط ترجمة : د . محمد عبد الرحمن الشرنوبي
١٨ ـ تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين بقلم : د . عطية القوصي
١٩ ـ نظرات في الفكر الجغرافي الحديث بقلم : د . طه محمد جاد
٢٠ ـ القوة البحرية السوفيتية ترجمة : أ . د . محمد عبد الغني سعودي
٢١ ـ مشكلات التصحر في العالم الاسلامي بقلم : د . زين الدين عبد المقصود
٢٢ ـ علم الجغرافيا دراسة تحليلية نقدية في المفاهيم والمدارس والاتجاهات الحديثة في البحث الجغرافي
بقلم : د . محمد الفرا
٢٣ ـ جغرافية الرفاه الاجتماعي عن : منهج جديد في الجغرافيا البشرية
تعريب : د . شاكر خصباك
٢٤ ـ مكان الخليج العربي في حضارة الشرق الادنى القديم تأليف : د . سليمان سعدون البدر
٢٥ ـ الاستشعار من بعد في الشرق الاوسط ترجمة : أ . د . علي علي البنا
٢٦ ـ الارتباط المكاني تطويره وبرمجته وجوانب من تطبيقه
تأليف : د . حرب عبد القادر الحنيطي
٢٧ ـ التطوير الحضري واستراتيجيات التخطيط في الكويت د . عبد الاله ابو عياش
٢٨ ـ دراسة تحليلية لخمس مجموعات من الاسر وفقا لتجربتهم في الهجرة بقلم : عبد العزيز آل الشيخ

٢٩ ـ ضبط النسل أبعاده وآثاره الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية
بقلم : د. حسن عبد القادر صالح
٣٠ ـ الموارد في عالم متغير (وجهة نظر جغرافية) بقلم : أ. د. حسن طه نجم
٣١ ـ الجغرافيا بين العلم التطبيقي والوظيفة الاجتماعية بقلم : أ. د. محمد عبد الرحمن الشرنوبي
٣٢ ـ الخصائص الجيومورفلوجية لنهر السهل الفيضي بقلم : د. طه محمد جاد
٣٣ ـ التخطيط لمدن التنمية في الكويت بقلم : د. عبد الإله أبو عياش
٣٤ ـ توطن صناعة الاسمدة الكيماوية في الوطن العربي ومستقبلها د. محمد ازهر السماك
٣٥ ـ التتابع الطباقي د. احمد مختار ابو خضرا
٣٦ ـ جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط د. عبد العال الشامي
٣٧ ـ علم الريافة عند العرب د. محمد عيسى صالحية
٣٨ ـ الهجرة اليمنية الى امريكا نموذج من دورتيريت بالولايات المتحدة
ترجمة : محمد عبد الرحمن الشرنوبي
٣٩ ـ المرحلة الثالثة من الادارة الدولية لمائية نهر النيل
ترجمة : د. زين الدين عبد المقصود
٤٠ ـ الصناعات البتروكيماوية في العالم العربي وامكانيات التنسيق بينها د. محمد عبد المجيد عامر
٤١ ـ التغيرات المناخية وانتاج الغذاء ترجمة : طه محمد جاد
٤٢ ـ النظام الايكولوجي وجهة نظر جغرافية بقلم الدكتور زين الدين عبد المقصود
٤٣ ـ الخصائص الشكلية ودلالاتها الجيومورفولوجية د. حسن رمضان سلامة
٤٤ ـ المدينة والخدمات الهاتفية ترجمة وتعليق : الدكتور محمد اسماعيل الشيخ
٤٥ ـ نبذة عن تطور جزيرة بوبيان الكويتية في اواخر عصر الهولوسين
الدكتورة طيبة عبد المحسن العصفور ترجمة دكتور زين الدين عبد المقصود غنمي
٤٦ ـ التوزيع المكاني لاحتياطيات النقد العالمية ترجمة : أ. د. حسن طه نجم
٤٧ ـ خريطة مورفولوجية لاقليم خور العديد : شبه جزيرة قطر د. نبيل سيد امبابي
٤٨ ـ مشاهدات جغرافية في غربي الجزيرة العربية بقلم : أ. د. يوسف أبو الحجاج
٤٩ ـ اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر أ. د. محمد علي عمر الفرا
٥٠ ـ رصد الظواهر الارضية والميتيورولوجية بالاقمار الصناعية تعريب : الدكتور محمد اسماعيل الشيخ
٥١ ـ السكان في اليمن د. عباس فاضل السعدي
٥٢ ـ الزراعة في دولة الامارات العربية المتحدة ترجمة : أ. د. فؤاد محمد الصقار
٥٣ ـ مظاهر الضعف الصخري وآثاره الجيومورفولوجية د. حسن رمضان سلامة
٥٤ ـ الجمرفلوجية : مجالها ومقياس الدراسة فيها وعلاقاتها بالعلوم الاخرى د. طه محمد جاد
٥٥ ـ المصادر العربية لمصطلحات الاشكال الارضية د. عبد الله يوسف الغنيم
٥٦ ـ الاقمار الصناعية والمناخ ترجمة/د. محمد اسماعيل الشيخ
٥٧ ـ مدينة العقبة الموقع ومعطيات السكان الطبيعية د. احمد حسن ابراهيم
٥٨ ـ امكانيات التنمية الزراعية في سيناء د. فوزية محمود صادق
٥٩ ـ المستوطنات التوابع في الطرف الغربي لجبال نابلس تعريب وعرض وتعليق د. فاطمة العبد الرزاق
٦٠ ـ التخطيط الزراعي لمنطقة الوفرة أ. د. محمد رشيد الفيل
د. صبحي المطوع

٦١ ـ أثر الحرارة المتجمعة على نمو ونضوج المحاصيل الزراعية في العراق — د. علي حسين الشلش
٦٢ ـ التفسير الشرعي للتمدن — د. وليد المنيس
٦٣ ـ جيمورفولوجية الهوات في الجبل الاخضر — د. سميح عودة
٦٤ ـ زحف الرمال بمنطقة الاحساء — يحيى ابو الخير
٦٥ ـ الحالة العامة للمساكن التي يعيش فيها الحاج بمدينة مكة المكرمة خلال فترة الحج — غازي مكي
٦٦ ـ الهجرة بين النواة ومناطق الاطراف — ترجمة : أ. د. احمد اسماعيل
٦٧ ـ التعدادات السكانية الحديثة : دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي — د. امل العذبي الصباح
٦٨ ـ البيئة العاملية للمدينة العربية — خالد محمد العنقري
٦٩ ـ اضواء على مفاهيم الجغرافيا الاجتماعية والحضارية « الاجتحضارية »
ـ دراسة في الفكر الجغرافي — د. عبد الله علي الصنيع
٧٠ ـ التغلغل البحري في ساحل القطري — د. نبيل سيد امبابي
٧١ ـ الجغرافيا والتخطيط — د. عبد الاله ابو عياش
٧٢ ـ بعض مظاهر التعميم والتقريب في جمع البيانات الجيمرفلوجية وعليها — د. طه محمد جاد
٧٣ ـ الجغرافيون والرحالون المسلمون — للمستشرق م. ف. مينورسكي، ترجمة : أ. د. عبد الرحمن حميدة
٧٤ ـ الاستغلال الزراعي في وادي فاطمة بمنطقة مكة المكرمة. — د. محمد عبد المجيد عامر، د. نصر الدين بدوي
٧٥ ـ اختلاف التصريف المائي للأودية الصحراوية في الاردن — د. حسن رمضان سلامة
٧٦ ـ بعض أوجه الأختلاف في رسم اسم المكان الواحد بحروف اللغة العربية في المملكة العربية السعودية — د. اسعد عبده
٧٧ ـ دراسة تحليلة لخريطة المضمون البيئي للتنمية في السودان — د. فؤاد الصفار
٧٨ ـ الندية بين الانسان والطبيعة — د. صلاح الدين الشامي
٧٩ ـ الخصائص العمرانية لمدينة الأحمدي — د. أحمد حسن ابراهيم
٨٠ ـ الانسان كعامل جيمورفولوجي — د. عبد الحميد كليـو